مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 09 / العدد: 02 (2023)، ص 234- 249

قضايا التأويل والقراءة عند بول ريكور

Interpretation and Reading issues in Poul Ricoeur

عدلان رويدي[1*]
[1] جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل (الجزائر)، rouidiadlene@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/06/19 تاريخ النشر: 2023/12/30

ملخص:

بول ريكور من الفلاسفة الكبار في الفكر الغربي المعاصر والفرنسي على وجه الخصوص، وقد ألّف العديد من الكتب الفلسفية والنقدية، في التأويل والهيرمنيوطيقا والقراءة، إضافة إلى الدراسات السردية وتحليل الخطاب.

يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على مشروع التأويل والقراءة عند بول ريكور، من خلال الوقوف على المرجعيات الفلسفية والمعرفية لهذا المشروع الفلسفي، ثم أهم المفاهيم النقدية الواردة في كتبه النقدية المهمة، كمفهوم الهيرمنيوطيقا والتأويل والنص والخطاب والقراءة.

كلمات مفتاحية: القراءة، الهيرمنيوطيقا، الشعرية، التأويل، الخطاب.

Abstract:

Poul Ricoeur is one of the great philosophers in contemporary western Thought and French Thought. in particular, he has authored many philosophical and critical books,on Interpretation and Herméneutique and Reading in Addition to narrative and discours analysis.

This Article attempts to shed light on Interpretation and Reading Project of poul Ricoeur, by standing on the philosophical ,and cognitive references for This philosophical project ,Then The most important Critical Conscepts Contained in His important Critical Books Such as the concept of Herméneutique, Interpretation ,Texe ,Discours ,and Reading.

Keywords: Reading; Herméneutique; Poetic; Interpretation; Discours.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقيت نظرية القراءة والتأويل رواجا واسعا في الساحة النقدية الغربية المعاصرة، خصوصا في ألمانيا وفرنسا، التي عرفت بروز العديد من الفلاسفة والنقاد وعلماء اللغة، الذين استوعبوا مقولات القراءة والتأويل وعملوا على تطويرها، من خلال اقتراح مجموعة من التصورات والأفكار، التي تساهم في إثراء هذا المشروع العلمي والمعرفي وتطوير عملية القراءة وكيفية التعامل مع النصوص المختلفة، وممارسة النشاط التأويلي وفق استراتيجية قرائية منظمة وممنهجة، تكون ذات فعالية كبيرة، وقادرة علي الوصول إلى المعنى، وبلوغ مقصدية النص والكاتب وتجنّب مزالق التأويل الخاطئ، الذي يحول دون الوصول إلى المعنى.

ويعدّ بول ريكور Poul Ricoeur من هؤلاء الفلاسفة والمفكرين الذين اشتغلوا على دراسة هذا الحقل المعرفي، وحملوا همّ عراقيله وصعوباته، وهذا على الرغم من اعترافه أنه «ليس هناك علم تأويل عام، ليس هناك قانون شامل للتفسير، هناك فحسب نظريات متباينة، ومتعارضة، بشأن أسس التفسير» (نيوتن، 1996، صفحة 202)، لذلك يمكن أن نكتشف بعض آرائه، المتعلقة بالتأويل والتفسير والقراءة، بعد متابعة دقيقة لمتنه الفلسفي والنقدي، وفي ظل هذه المعطيات يمكن طرح العديد من التساؤلات المعقدة المتعلقة بهذا القامة الفلسفية والفكرية والمتمثلة فيما يلي:

ماهي أهم المرجعيات التي شكّلت هذا العقل الفلسفي والنقدي؟، وما هو مفهوم الهيرمينيوطيقا عنده؟ وما تصوّره لفعل القراءة والتأويل؟ وماهي استراتيجيته في قراءة النصوص والخطابات الانسانية؟

كل هذه التساؤلات يهدف هذا المقال إلى الإجابة عنها، وتكمن أهمية هذا البحث في إلقاء الضوء على استراتيجية التأويل ونشاط القراءة عند قامة فلسفية وفكرية أثرّت بشكل فاعل في المشهد الفكري الفرنسي وفرضت هيمنتها على مستوى الساحة الفلسفة الغربية المعاصرة وهي شخصية بول ريكور Poul Ricoeur.

ومن أجل الإجابة على مختلف هذه التساؤلات تمّ اعتماد الخطة المنهجية التالية:

- المرجعيات الفلسفية والفكرية والمعرفية لمشروع بول ريكور الفلسفي.
- مفهوم الهيرمينيوطيقا عند بول ريكور.

- الخطاب/النص/الكتابة عند بول ريكور .
- الاستعارة عند بول ريكور وتفعيل نشاط القراءة وتفتيق الطاقة الدلالية للنص.
- القراءة الفعالة وموت المؤلف عند بول ريكور.
- تأويل النص الأدبي عند بول ريكور.
- الإضافات التي قدمها مشروع بول ريكور للنقد الغربي المعاصر.

2-المرجعيات الفلسفية والفكرية والمعرفية لمشروع بول ريكورPoul Ricoeur الفلسفي:

ضمن السياقات السابقة تركزت جهود الفيلسوف الفرنسي بول ريكورPoul Ricoeur، وتأسس خلالها مشروعه التأويلي، الذي شيّدت معماريته مجموعة من الفلسفات والمعارف المتراكمة عبر الأزمنة، حيث تمكّن خلالها من الاستفادة من اللسانيات الحديثة وزعيمها دي سوسيرDe Saussure، وفروع علم اللغة المختلفة كعلم الدلالة والأصوات، والسيمياء خصوصا عند غريماس Greimas وبيرسPeirce، كما نهل من فلسفات عديدة ذات مرجعيات مختلفة، ومنها فلسفة علم اللاهوت مع كال ياسبيرز Karl jaspers خصوصا، إضافة إلى الفلسفة الظاهراتية Phénoménologie التي تمثل مصدرا مهما لكل فلاسفة القراءة والتأويل، ومنعطفا فلسفيا في تاريخ الفلسفة الغربية المعاصرة، خصوصا مع إدموند هوسرل Edmund Hisseril ورومان إينجاردن Ingarden وميرلوبونتي Marleau ponty، ثم تلاميذهم بعد ذلك مثل مارتن هيدغير Martin Heidgger، إلى جانب فلسفة التأويل عند فريديرك شلاير ماخرFrederic Schleiermache وهانز جورج غادامير Hanz Georg Gadamar من دون إغفال فلسفة التعالي عند كانطKant، والقديس أوغستين Augustine، والتأويلات القديمة للنصوص الدينية خاصة المسيحية، وصولا إلى ثالوث الشك الفلسفي، وهم نيتشه Nietzsche وكارل ماركس Karl Marx وفرويدFreud، الذي جعله يشك في كل شيء، خصوصا في إطار البحث عن المعنى وعلاقته بالوعي الانساني، لذلك يقول: «إثر الشك بالأشياء بدأنا نشك في الوعي» (نيوتن، 1996، صفحة 203)، فكل هذه الفلسفات استفاد منها ريكور Ricoeur من وجهة نظر تأويلية ومن زاوية الفهم والتفسير.

وضمن هذه المغامرة البحثية الطويلة في غمار الدرس الفلسفي الغربي واللغوي، تمكّن من الارتقاء بمستوى الدراسة اللغوية والبحث التأويلي خصوصا، وضمنه معضلة التفسير والفهم.

حاول خلالها بول ريكور Poul Ricoeur تشكيل مشروع يخص الفلسفة التأويلية ونظرية علمية موضوعية تخص موضوع التفسير، محاولا الانتقال بالهيرمنيوطيقا La Herméneutique إلى علم تفسير النصوص ليخرجها من إطارها الفلسفي والفكري المحض، ويطير بها إلى فضاء أرحب وأوسع في رحاب النصوص المختلفة المرجعيات، ومن ضمنها النصوص الأدبية طبعا، فلم يبق حبيس النص الديني والفلسفي فحسب. وكل هذا البناء العقلي من أجل تشييد فلسفة كبرى وشاملة للغة البشرية، تهتم بدراسة بالوظائف العديدة للدلالة عن الفرد البشري، وبعلاقاتها المتعددة فيما بينها، وعن حضور العالم بشتى أشكاله داخل النصوص.

3-مفهوم الهيرمينيوطيقا عند بول ريكور:

مصطلح الهيرمنيوطيقا Herméneutique، «مصطلح قديم، بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد، والمعايير، التي يجب أن يتّبعها المفسّر، لفهم النص الديني»(الكتاب المقدس) (أبو زيد، 2003، صفحة 13) ، وبالتالي لم تخرج عن إطار الكتب اللاهوتية، والدينية.

ومصطلح الهيرمنيوطيقاHerméneutique، هو باختصار نظرية التأويل وممارسته، لذلك لا حدود تؤطّر مجال هذا المصطلح، سوى البحث عن المعنى، والحاجة إلى توضيحه وتفسيره (الرويلي ، 2003، صفحة 88)، فالمعنى الصحيح، هو المقصد الوحيد، لنظرية التأويل، كما «تعني الهيرمنيوطيقا فنّ تأويل العلامات، وهو تأمل فلسفي، يعمل على تفكيك كل العوالم الرمزية، وبخاصة الأساطير، الرموز الدينية» (بارة، 2008، صفحة 100)، فهي تحمل طابعا فلسفيا، يهدف إلى فهم العالم الأنطولوجي والذات الإنسانية، والنص من وجهة نظر هيرمنيوطيقية، حسب فريديريك شلاير ماخرFrederic Schleiermacher، هو عبارة عن وسيط لغوي، ينقل فكر الفكر إلى القارئ، وعموما فإنّ الهرمنيوطيقا يتعلق استعمالها بعدّة مستويات:

-فهي تحدد أحيانا منهجا معينا، أو بالأحرى صنفا من المناهج، يستمد نموذجه من المسار المميز لتفسير النصوص الدينية، أو بصفة أرحب، من الأشكال المختلفة لتأويل النصوصLa Démarche Exégétique، وهذا المنهج يبدو مناسبا حتى يكون الموضوع متمثلا في إبراز معنى مفترض لكنه غير معطى، على نحو مباشر.

-ولفظة هيرمنيوطيقا يمكن استعمالها كذلك للدلالة على نمط التفكير، أو النظر العقلي المتعلق بالمناهج التأويلية، والتي تهدف إلى تأسيسها، وتبريرها، وبالتالي إلى تحديد المبادئ العامة، لمناهج البحث في تفكيك الرموز.

-وأخيرا تمثل لفظة هرمنيوطيقا، نوعا معينا من الفلسفة، حيث تجد المهمة السابقة ما يبررها انطلاقا، من نظرة خاصة للوجود أو الشعور أو العقل، وهكذا تتوزع لفظة هرمنيوطيقا على ثلاثة مستويات: أ) مستوى ميتودولوجي، ب) مستوى ابستيمولوجي، ج) مستوى فلسفي (قارة، 1998، صفحة 05).

فهي ضاربة بجذورها في شتى المجالات، والحقول المعرفية، فهي تخترق حجب المنهج وتتجه نحو عمق الخطابات والظواهر، لتقدّم نقدا للمعارف والعلوم، وتساءل المناهج الخاصة بها، وهمّها الكبير، هو الوصول إلى الفهم الصحيح، لذلك «مهمة الهيرمنيوطيقا هي فهم النص كما فهمه مؤلفه، بل حتى أحسن مما فهمه مبدعه» (أبو زيد، 2003، صفحة 22)، وهذا يتمّ عبر استراتيجية قرائية منظمة، ووفق خطوات منهجية من أجل الوصول إلى هذا الهدف السامي، الذي هو الوصول إلى المعنى العميق، والمضمر، عبر آلية إجرائية تنطلق من الظاهر أولا، لتصل في نهاية المطاف إلى الباطن المضمر، حيث تجنب المؤول الفهم الخاطئ، فسوء الفهم يفتح الباب دائما، لإمكانية وجود معاني غير مكتشفة، وهو بخلاف إمكانية الفهم النهائي (السيدأحمد، 2009، صفحة 29)، لذلك تصبح عملية الفهم ضرورة وحتمية تأويلية، ينبغي المرور عليها للوصول إلى المعنى.

أمّا عند بول ريكور Poul Ricoeur فهي «طريقة لفك الرموز من جهة أنّ هذه الأخيرة هي تعبيرات ذات معنى مزدوج، يقوم فيها المعنى الحرفي أي الجاري على متن الاستعمال الشائع، عملية الكشف عن المعنى الثاني رامية الرمز عبر المعنى الأولى » (ريكور، 2006، صفحة 100)، وبالتالي فهي عبارة عن تقنية يسير على منوالها المؤول، ومهمة الهرمنيوطيقا عنده هي «السماح لنص معين بأن يدل قدر المستطاع» (ريكور، 1999، صفحة 114)،

ليسهّل للمؤول عملية الفهم والتفسير، وقد قام بول ريكورPoul Ricoeur بتطعيم الهرمنيوطيقا بالفينومينولوجيا، لتحقيق مشروعه التأويلي، حيث نظر إلى الانعطاف الهرمنيوطيقي للفينومينولوجيا، كضرورة إبستيمولوجية، ولحظة نقدية أساسية للفهم (عمارة، 2013، صفحة 49)، ولكن هذا الانعطاف ليست له حدود نهائية، ممّا يجعل مسار الفهم نفسه غير نهائي، ومنفتح جدّا على فضاء من التأويلات اللامحدودة.

لقد أفسح ريكور الطريق أمام الذات المندفعة نحو عالمها الخارجي وكونها المتسع، مفسّرا المبهم، مفككا الغامض، مرتحلا بين حدود الصراعات وتخوم العدمية، وجاعلا من بين مهام الهرمنيوطيقا إحلال السلام في عالم الخطاب (عمارة، 2013، صفحة 51)، هذا السلام الذي يبقى مشروع صعب التحقيق، ضمن هذه الرقعة الجغرافية اللغوية، في ظل صراع التأويلات داخلها.

4-الخطاب/النص/الكتابة عند بول ريكورPoul Ricoeur :

إن محاولة فهم تصورات بول ريكورPoul Ricoeur التي تخص مفهومه للقراءة والتأويل والفهم والتفسير والهرمنيوطيقا، لا يمكن الوصول إليها إلاّ عبر ضبط مفهومي النص والكتابة عنده، فمن خلالهما تسهل عملية فهم واستعاب المفاهيم اللاحقة، لأنهما يمثلان الكلمات المفاتيح في مشروعه التأويلي عامة والقرائي على وجه الخصوص، الذي حاور الكثير من الفلسفات، فالنص هو نقطة الانطلاق الأولى ضمن مغامرة القراءة والتأويل، وهو يمثل المشهد الافتتاحي لهذه الرحلة التأويلية، لذلك يطرح بول ريكورPoul Ricoeur في كتابه" من النص إلى الفعل" مجموعة من التساؤلات المتعلقة بعناصر الممارسة التأويلية وأهمها ما هو النص؟.

وفي هذا الصدد يجيب عن هذا التساؤل كما يلي: «لنسمّ نصا كل خطاب تثبته الكتابة» (ريكور، 2001، صفحة 105)، فالنص لا يفرض وجوده ككيان لغوي وكفضاء دلالي مستقل، إلا عبر الكتابة التي تشيد له معماره، وتفتح له أبوابه عبر المتلقين، حيث «يكون التثبيت بالكتابة مؤسسا للنص نفسه، لكن ما الذي تثبت على هذا النحو بالكتابة؟» (ريكور، 2001، صفحة 105)، سؤال يولد من صلب السؤال السابق لأنّ الكتابة عبارة عن نشاط نقدي يتكلف بمهمة صعبة ومعقدة وهي القبض على الكلام وتشكيله في قالب لغوي يمكن للقارئ من خلاله الولوج إلى النص فهو بوّابة له. ف«الكتابة علاوة على ذلك

بصفتها مؤسسة تالية للكلام الذي يبدو أنها منذورة لتثبيت كل تلفظاته التي لاحت شفويا بشكل خطي موجز» (ريكور، 2001، صفحة 105)، فالنص هو المكان الذي يحتضن كلام الكاتب والمؤلف، وينقله من رتابة الكلام اليومي ذي الأغراض التواصلية الأحادية القراءة، إلى الكلام الفني والجمالي المفتوح على تعددية القراءة فيحقق لذة النص ومتعة التأويل.

لذلك حتى ينطلق مشروع القراءة ويكون فعّالا يشترط ريكور Ricoeur إبعاد الكاتب أو المبدع من طرف نصه الذي أنتجه دفعة واحدة، وفي هذا الصدد يقول: «إنّ قراءة كتاب هي اعتبار مؤلفه قد مات والكتاب وضع بعد الموت بالفعل، فعندما يموت الكاتب، تصبح العلاقة مع الكاتب كاملة وبطريقة ما خالصة، الكاتب لا يسعه أن يجيب، تبقى فقط قراءة أعماله» (ريكور ب.، 2000، صفحة 67)، من أجل إثارة القضايا المتعلقة بعلاقات الفهم والتأويل المتعلقة بالعالم والكون، وهذه العلاقات تتمّ عبر مناسبة القراءة، فالكتابة كنشاط إنتاجي تعمل على تثيبت العالم، عن طريق الرموز في نص مقروء، ومن جهة أخرى فالقراءة تسعى إلى فك الرموز، ومحاولة الولوج إلى ذلك العالم الذي اجتهدت الكتابة على تثبيته من نص تقوم الذات بالانفتاح على نفسها لفهم هذا العالم الواسع الأرجاء، لأن قراءة نص مهما كانت طبيعته تعتبر أفضل طريقة لتأويله، وتفكيك معانيه المختلفة انطلاقا من مقصدية النص، l'Intentionalité du Texte ، وصولا إلى معانيه العميقة والمضمرة.

5-الإستعارة عند بول ريكور وتفعيل نشاط القراءة وتفتيق الطاقة الدلالية للنص:

تعدّ الاستعارة من الأبواب المهمة في طروحات بول ريكورPoul Ricoeur التأويلية، فمن خلالها يتمّ فتح أرجاء النص على عوالم متعددة ومتشعبة، وهنا نلمس تأثرا واضحا لريكور Ricoeur بالفينومينولوجيا والأنطولوجيا، خصوصا عند الفلاسفة الألمان وفي مقدمتهم هيدغيرHeidgger، حيث يطرح قضية التأويل ليمنحها بعدا أنطولوجيا، بفضل المنهجية الظاهراتية التأويلية، على اعتبار أنّ القراءة محاولة لفهم الوجود ذاته والذي يحمل طابعا مستقبليا، وهذا لا يتمّ إلاّ عبر بوّابة النص نفسه، و«هكذا يتقابل أفقان لفهم النص أفق النص الذي أودع فيه ذاكرته الوجودية عن الماضي وأفق القارئ الذي يريد فتحه على المستقبل، وينصهر هذان الأفقان ليولّدا عملية القراءة في تملك النص وفهمه» (ريكور ب.، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، 2006، صفحة 17).

من هنا يتشكل النشاط التأويلي الناجح الذي يحقق أهدافه وتكون له مردودية على مستوى القراءة والفهم ف« لم تعد القراءة هي ما ينصح به النص ويوجّه إليه بل هي ما يحمل بنية النص إلى النص من خلال التأويل» (ريكور ب.، الزمان والسرد، 2006، صفحة 248)، فعبر هذا الحيز ينفتح النص لتنطلق مغامرة جديدة في عملية الفهم، من خلال الانتقال من المعنى الحرفي والمعنى المجازي، وهذا عبر عنصر بلاغي فعّال وهو الاستعارة، التي تزيل العقم عن النص على مستوى المعنى، وتجعله أكثر توالدا من جانب الدلالة ف«الاستعارة عند ريكورRicoeur تمثل فائض معنى ووظيفته انفتاح النص على عوالم جديدة وطرق جديدة للوجود في العالم، الاستعارة لغة تتجه للمستقبل ولا تبقى أسيرة المعنى الحرفي» (ريكور ب.، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، 2006، صفحة 16)، فتطير به في أرجاء الوجود الإنساني الرحب، وتسمح له بفهم أسراره، واكتشاف زواياه المظلمة.

6-القراءة الفعالة وموت المؤلف عند بول ريكورPoul Ricoeur :

باعتبار القراءة نشاط ذهني وفعل تأويلي منتج وولود، فإنها تبث الحياة في النصوص والخطابات الانسانية فلا يمكن للنص أن يستمر في الوجود إلاّ من خلال القراءة، وهذا من وجهة نظر بول ريكورPoul Ricoeur.

فالنص لا يمتلك شرعية وجوده إلا من خلالها، فهي تبث فيه أرواحا جديدة، فالنص الذي لا يقرأ يصبح ميتا ولن يستمر طويلا، ويفقد فعاليته في التعبير عن العالم، «لأن هدف القراءة هو الانفتاح على العالم بما أنّ القراءة تدفع القارئ إلى الكشف عن المعنى من قبل الذهن، وهو ذهن المؤلف الذي يكون مؤولا لنصه، ومتعة القارئ تبدأ حين يصبح هو نفسه منتجا لنصه» (عزام، 1984، صفحة 106)، فمهمة القارئ عظيمة وفاعلة داخل النص، لذلك يستبعد ريكورRicoeur المؤلف على غرار رولان بارت Roland Barthes حيث ينادي بموته، لأنه يعرقل نشاط القراءة، ويسجن المتلقي في حقل تصوراته، يقول بول ريكورPoul Ricoeur« إنّ المؤلف مؤسس من طرف النص وإنه في حدّ ذاته يأخذ مكانا في فضاء الدلالة التي رسمتها وخططتها الكتابة، النص هو المكان الذي يأتي إليه المؤلف» (ريكور، 2001، صفحة 158)، فحضور المؤلف يقيد القارئ ويحط من

حريته في اقتحام زوايا النص المختلفة، فلا يخرج عن إطار ما قاله صاحبه الفعلي، ويساهم في إفشال مشروع القراءة الولود والمتجدد والمتميز دوما بالديناميكية والتعددية.

فالنص يمتلك استقلالا من حيث المعنى، لذلك فدور المؤول هو الغوص في أعماق النص والحفر في طبقات المعنى داخله، انطلاقا من المعنى الحرفي، وصولا إلى المعنى المجازي الذي تخلفه الاستعارات، في تشكيل وصنع مفاهيم جديدة، وابتكار صيغ دلالية متوالدة منها والتي بدورها تتوالد منها تأويلات جديدة للنصوص، وهذا يتم من خلال محاولة تفكيك الرموز والشفرات المختلفة، انطلاقا من ظاهر المعنى، وصولا في نهاية المطاف إلى المعاني والدلالات الباطنية والأنساق المضمرة في جسد الخطاب، والغوص في غمار طبقات المعنى المشتقة أصلا من المعنى الحرفي القائم على القصدية، التي تمثل أساسا لكل مشروع تأويلي للنصوص والخطابات المختلفة، وهذا كله لا يتمّ إلا عبر إبعاد المؤلف من مشروع القراءة.

فتأويل النص حسب بول ريكورPoul Ricoeur يعدّ مغامرة خطيرة، وتحمل الكثير من الحيل والألعاب كما تتطلب نشاطا فعّالا، وتعبا وجهدا كبيرا من قبل المتلقي المثقف، والقارئ المهندس الذي يعمل على تمشيط النص وتفكيك مختلف الرموز والألغام الدلالية التي تختفي في أدغال النص فالرمز يبقى أساس عملية التأويل وعمودها الفقري، كما يتخذ طابعا استعاريا، ويعتمد على لغة المجاز لا التصريح، وهذا ما يصنع متعة القراءة ويحقق نشوة البحث، ولذة التنقيب والحفر عمّا يضمره الظاهر والمتجلي للعيان.

7-تأويل النص الأدبي عند بول ريكور Poul Ricoeur:

مثلما شغل الخطاب الأدبي اهتمام النقاد والدارسين منذ القديم وفي كل المجتمعات الانسانية، فقد نال اهتماما كبيرا من قبل بول ريكور Poul Ricoeur، نظرا لما يحتويه من خصوصيات فنية وأسلوبية، ولما يحمله من معاني ودلالات تتعدى الجانب السطحي للغة لتلج إلى غياهب باطنها، ولما يحمل من أيقونات وشفرات تجتمع داخل النص لتخلق فضاءا دلاليا يضم بين دفتيه مجموعة من القيم الدلالية.

هذا النص الإشكالي من منظور بول ريكور Poul Ricoeur يتطلب آليات معينة من أجل تفكيك شفراته المختلفة، فهو يمثل خلاصة تجربة ونظرة معينة نحو الحياة، كما أنه يحمل قيما جمالية تمنحه نوعا من التميز والفرادة عن باقي الأعمال الأخرى، وتشكل

أدبيته داخل النسيج اللغوي ككل، وعليه « فإن سمة الأدبية في الخطاب ليست محصورة في بعض أجزائه دون الأخرى ولا فيما يتولد عن بعضها من صور وانزياحات، وإنما هي ثمرة لكل بناء الخطاب، وأدبية الخطاب الشعري وليدة التركيبة الكلية انطلاقا من الروابط القائمة فيه والضابطة لخصائصه البنيوية» (السد، 2010، صفحة 23)، وأمام كل هذه السمات والميزات التي تميّز هذا النوع من الكتابة، تتبادر إلى القارئ مجموعة من الإشكاليات والقضايا، التي تتعلق بكيفية التعامل مع هذه النصوص، التي تمارس في أحايين كثيرة لعبة الامتناع على القارئ فترفض محاورته وإتمام صفقة القراءة، فتصدمه تارة وتكسر أفق توقعاته تارة أخرى، ممّا يصعّب من كيفية التعامل معها من حيث القراءة والتأويل وبالتالي القبض على الدلالة والمعنى، الذي يبقى دائما هاربا ومنفلتا رافضا الخضوع والانسياق لسلطة المتلقي، الذي يظل في رحلة مطاردة هذه الدلالة، على الأقل القبض على أطياف المعنى وأشباحه والتي يمكن أن توجه القارئ أو الناقد نحو طريقة ما تعينه على اقتفاء أثر المعنى وتقصّيه.

فالمعنى داخل النص الأدبي حسب بول ريكور Poul Ricoeur يبقى مشروع الناقد وهدفه، من خلال تلك المناهج والمقاربات التي يشتغل بتطبيقها واستثمارها، بغية تحقيق الفائدة المرجوة من هذا المشروع القرائي التي هي بطبيعة الحال الوصول إلى المعنى، وهذا يتم عبر عملية تمشيط شاملة ودقيقة لكل جزئيات النص وتفكيك مختلف الألغام الدلالية المتخفية تحت تشكيله اللغوي، وذلك عبر فك رموز النص « فالرمز على هذا الأساس هو أصل التأويل، إنه يرتبط بمتعة البحث عمّا هو يختفي وراء الظاهر للعيان» (بنكراد، 2012، صفحة 12)، فيتموّه خلف أدغال النص وتضاريسه اللغوية، التي تتطلب قارئا يحسن عملية التمشيط والتفكيك، ويمتلك معرفة جيدة بأسرار العملية الابداعية، فيغوص في بحر تلك الرموز، الذي تدخله في متاهة حقيقية وعوالم قرائية غير محمودة العواقب والتي يمكن أن لا تقوده إلى تأويل صحيح وفهم سليم، فعوالم الترميز «هي التعبير الأسمى عن قدرة اللغة على الاستقلال بذاتها لخلق مرجعيات دلالية ذاتية، تعدّ الوجه الأمثل لعوالم ثقافية هي مزيج عجيب من "الحقائق الموضوعية" و "الحالات الاستهامية" التي لا تحكمها ضفاف ولا نهاية» (بنكراد، 2012، صفحة 25)، وتلك هي متعة القراءة ومتعة التأويل، التي يجنيها القارئ من النص الأدبي وتقوده نحو دهاليز المعنى، بحكم أن

النص الأدبي، وخصوصا المعاصر منه، يشتغل كثيرا على الرمز والأسطورة والإشارة والقناع والمرايا، وغيرها من الألغام الدلالية، التي تمنح النص بعدا جماليا جديدا وتوالدا دلاليا، فيضع المتلقي أمام تجربة جديدة في القراءة، تتطلب منه مزيدا من الخبرة والتجربة والدربة والمران.

فالفعل القرائي حسب بول ريكور Poul Ricoeur ليس عملية بسيطة، وإنّما هو عملية مركبة ومعقدة وهي« ليست متعة جمالية خالصة تنصب على الشكل ولكنها عملية مشاركة وجودية تقوم على الجدل بين المتلقي والعمل» (أبو زيد، 2003، صفحة 39)، ويتطلب في بعض الأحيان اشتراكا في التجربة من قبل القارئ، خصوصا التجارب التي تسعى بلغتها نحو اكتشاف المجهول والغامض، وذلك باللجوء إلى الرمز الذي « يمثل شكلا من أشكال الانعتاق والاتجاه نحو أعماق أكثر اتساعا وشمولا والبحث عن معنى أكثر يقينية» (الحميري، 2008، صفحة 243)، لذلك يصبح التأويل أمرا ضروريا، فالقارئ عليه أن يعيد « تشكيل النص من خلال أفق معرفي وجمالي يمثل الإطار الذي تنجز فيه القراءة والتأويل» (قطوس، 2006، صفحة 178)، فالقراءة المنتجة تؤسس لنص جديد ونظرة جديدة للأشياء وطريقة التعبير عنها وعليه فالنشاط النقدي في الأصل هو« عبارة عن فعل نصي فاعل يتمّ من خلاله اختراق ظاهر الكلام الذي يتكلمه النص إلى باطنه لاكتشاف ما يتكلمه النص داخليا وخارجيا وفق نظام التكلم الداخلي الخاص وخارجيا وفق نظام التكلم الخارجي العام أو المشترك، وما يتكلمه المعجم الرمزي المشترك للألفاظ والعبارات» (الحميري، 2008، صفحة 130)،التي لا تظهر على سطح الخطاب.

وهكذا فإن اكتشاف جمالية النص الأدبي والوصول إلى دلالته لا يتمّ إلّا من خلال التأويل، بحكم أن تجربة الكتابة الأدبية « يتوحّد فيها الحقيقي مع المجازي والأرضي والسماوي والجسدي مع المعنوي ويتوحّدان في أشكال من وحي الخيال» (زدادقة، 2008، صفحة 230)، ومن هنا فإنّ البحث والتنقيب عن الدلالة داخل النص الأدبي طريق جديد نحو المعرفة، وبحث دائم عن الحقائق الغائبة والأنساق الثقافية المضمرة في باطن هذا الخطاب، وهذا ما يخرج النص الأدبي من مجال اللغة العادية إلى لغة جديدة تفتح النص على مستويات عديدة من القراءة، وتولّد العديد من الدلالات الهامشية، وتعبّر عن رؤى جديدة، محاولة تجسيد ذلك العالم المطلق الذي عجزت اللغة العادية عن التعبير

عنه، وبالتالي يفتح أبوابا عديدة من الرؤى والمواقف والتأويلات، والغوص فيها هو بحث عن ذلك الشبح المجهول، الذي يدفع نحو القراءة، من غير الوصول إلى أي يقين يضمن سلامة الفهم، ويجنّب التأويل الخاطئ والمقصدية غير الصحيحة، فممارسة النشاط التأويلي، والاستثمار في مشروعه ليس بالأمر الهيّن، وليس عملية بسيطة تقدّم دوما نتائج حاسمة ويقينية لا تقبل النقد « وإنما هي جهد جهيد واجتهاد مضني لا يوصل صاحبه في غالب الأحوال إلاّ إلى الظن الغالب، ولكنها تساهم في إنتاج قراءات جديدة» (رمضان، 2007، صفحة 356)، وهنا يظهر الخطاب الأدبي كخطاب ثائر ومتمرد ينزاح عن النماذج الخطابية الأخرى، حيث يعيش فيها المبدع تجربة داخلية متوترة، وعلى القارئ أن يعايش هذه التجربة و« أن يعيش التوتر نفسه أو يكاد الذي وصل إليه الشاعر أمّا الذي يقف على حافة التجربة فلن ينال من النص إلاّ ظاهره» (زدادقة، 2008، صفحة 232)، وهذا يظهر جليا في النصوص الممانعة التي تستدعي التأويل وتفرض تعددية قرائية، فتسهم في توليد الدلالة، من خلال تفكيك الرموز والبحث عن المرجعيات التي تؤسس لهذا النص، وبهذا الشكل يتحول الفعل القرائي من فعل محايد إلى تجربة حية متفاعلة ومتوترة ومهووسة، تشبه تماما تجربة الكتابة كتجربة حيوية ونشيطة تمارس لعبة الإرجاء والإضمار، « فاللغة ذات قدرة بالغة على التعبير عن مدلولات محددة دون أن تغيب في أفقها تماما مدلولات أخرى مستبعدة» (لحميداني، 2003، صفحة 168)، وهذا ما ينطبق على النص الأدبي والنصوص الشعرية المعاصرة خصوصا، فاستعمال كلمة من الكلمات التي تنتمي لحقل معرفي معين في معنى معين لا يمنع إمكانية التأويل لدى المتلقي، بحكم ما يلابس الدلائل وهذه الكلمات من أوضاع سياقية يصعب أحيانا ضبطها بدقة، فالمتلقي «له أيضا أوهامه الخاصة وردود فعله التي تميزه عن غيره من المؤولين» (لحميداني، 2003، صفحة 172)، وهكذا تبقى كل التأويلات الممكنة للدلائل مرتبطة بالتصورات النسبية وما يتصل بها من أوضاع سياقية معينة.

ومن هنا تطرح فكرة التعددية القرائية للنصوص الأدبية، التي كان بول ريكور Poul Ricoeur أحد المنادين بها، والتي تمكّن الناقد والمؤوّل من إنتاج خطابات جديدة على هذه النصوص، ومنحها أبعادا دلالية أخرى وفق أفقه القرائي.

فالطريق إلى الدلالة داخل النص الأدبي مليء بالمطبّات والمخاطر، ورحلة البحث عن المعنى والقبض عليه تبقى مشروعا وهميا يحلم القارئ بتحقيقه يوما ما، ويبقى كسراب بقيعة يحسبه فيضا من المعاني، ولكنه مجرد أوهام وأشباح تلقي بضلالها دون كشف حقيقته.

8-الإضافات التي قدمها مشروع بول ريكورPoul Ricoeur للنقد الغربي المعاصر:

قدم مشروع بول ريكورRicoeur Poul في الفلسفة التأويلية والتفسير الكثير للدرس النقدي الغربي المعاصر، خصوصا لدى اتجاهات ما بعد البنيوية في أوروبا، ونظريات القراءة والتأويل المعاصرة، وفلسفة اللغة، وتأويل التاريخ الغربي القديم، وتفسير الكتب الدينية القديمة والمقدسة، كالتوراة والإنجيل، ويمكن اختصار هذه الإضافات فيما يلي:

1-توضيح فاعلية الاستعارة في صنع المفاهيم.

2-توضيح العلاقة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا، الأولى بوصفها تأكيدا رمزيا للحظة الماضية، والثانية بوصفها انفتاحا رمزيا على المستقبل.

3-يشكل النص وساطة بين الإنسان والعالم، وبين الانسان والإنسان، وبين الإنسان ونفسه، الوساطة الأولى هي (المرجعية) والثانية هي (الاتصالية) والثالثة هي (الفهم الذاتي).

4-لا يمكن فهم الوجود الإنساني وإمكاناته إلا من خلال تحليل الرموز والنصوص التي تشهد على ذلك الوجود.

5-عالم النص-حسب ريكورRicoeur-هو العماد التي ترتكز عليه المهم التأويلية لتفسير العالم وتوضيحه.

6-التأكيد-بشكل أساس-على مفهوم (الكتابة) ووضعها في سياق علاقة الانسان بالعالم.

7-يشكل التأويل الموضوع المركزي لنظرية المعنى المتعدد، وحيثما وجد التأويل وجد الابتكار الدلالي (سعد الله، 2013، صفحة 95).

وقد ركّز بول ريكورPoul Ricoeur على تفسير الرموز، بوصفها وسيطا شفافا ينمو عمّا وراءه، ومن ثمّ ينصبّ التفسير على النصوص اللغوية، وتحليل المعطيات اللغوية للنص بغرض الكشف عن مستويات المعنى الباطني للنص، ليصل ريكورRicoeur في الأخير إلى ربط النص بالكاتب والتركيز على فكرة المقصدية (بوجادي، 2011، صفحة 65)Intentionalité، الذي تعدّ مدخلا مهما، ومحطة أساسية، ينبغي المرور عليها ضمن

المغامرة التأويلية، التي تستدعي الحذر الشديد في طريقة تعاملها مع التأويلات أو النصوص، لأنها تصبح بدورها موضعا لاكتشاف حقائق أخرى، نابعة من فضح العلامات، التي لم تعد بريئة، لذلك ينبغي فضح أصول الأشياء المسكوت عنها، والمختبئة وراء المجازات والاستعارات واللغة الملمّحة غير المصرّحة، وهكذا يبقى التأويل عند ريكورRicoeur في سيرورة وحركية لا تعرف الثبات والاستقرار أبدا، رحلة طويلة وشاقة، ليست لها نقطة نهاية محددة وثابتة.

9.خاتمة:

في ختام هذه المقال تمّ الخروج بمجموعة من النتائج التي يمكن اختصارها فيما يلي:

- المشروع الفلسفي والنقدي لبول ريكور Poul Ricoeur ثري جدا ومتنوع، حيث شمل العديد من المجالات المعرفية كعلم اللغة، والسيميولوجيا، والفلسفة، والهيرمنيوطيقا، وعلم التأويل، وفلسفة الدين، وحقول معرفية أخرى، وقد ترك ريكور بصماته في مختلف هذه التخصصات العلمية، من خلال ما ألّفه من كتب ومدونات نقدية وفلسفية متخصصة.

-شهدت مرحلة بول ريكور Poul Ricoeur تطورا كبيرا لنظرية التأويل والقراءة، على المستوى المنهجي والإجرائي المتعلق بتأويل النصوص، حيث أضفى عليه طابعا فريدا، تمثل في البحث عن استراتيجيات تأويلية ناجعة في فهم الخطابات والنصوص الإنسانية والإلهية.

-الإشارة إلى إنجازات بول ريكور Poul Ricoeur على المستوى الفكري والفلسفي وتجربته النقدية، لا تفي حق هذا المفكّر، ولا تعطيه نصيبه الكامل من الدراسة والتمحيص، خصوصا مواقفه المتعلقة بقضايا التأويل والقراءة والنقد، والدين والتاريخ، والأساطير، والعلامات، ومختلف الظواهر الثقافية.

-ما يلاحظ على بحوث بول ريكور Poul Ricoeur هي أنها استندت كثيرا إلى أعمال الفلاسفة والمفكرين الغربيين سواء القدماء أو المحدثين، إلى جانب الاستفادة من علوم اللغة، خصوصا مع تنامي التيار البنيوي ثم نظريات القراءة، كما أخذ من بحوث فلاسفة التأويل والدين.

- استفاد الكثير من المفكرين والباحثين والنقاد المتخصصين من دراسات بول ريكور Poul Ricoeur في مجال التّأويل والهيرمنيوطيقا، ومقاربة الخطابات الأدبية.، وتأويل النصوص الدينية بمختلف مظاهرها، وقد ساهمت جهوده الكبيرة، في إرساء دعائم استراتيجية جديدة في تأويل الخطابات والنصوص.

10.قائمة المراجع:

1-ك. م. نيوتن، (1996)، نظرية الأدب في القرن العشرين تر: عيسى علي العاكوب، مصر، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية.

2-نصر حامد أبو زيد، (2003)، ط1، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

3-ميجان الرويلي وسعد البازعي (2003)، ط1، دليل الناقد الأدبي، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

4-عبد الغاني بارة (2008)، ط1، الهيرمنيوطيقا والفلسفة، الجزائر، منشرات الاختلاف.

5-نبيهة قارة(1998)، ط1، الفلسفة والتأويل، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.

6-معتصم السيد أحمد، (2009)، الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي (بين حقائق النص ونسبة المعرفة)، لبنان، دار الهادي للنشر والتوزيع.

7-بول ريكور، (2006)، بعد طول تأمل تر: فؤاد مليت، الجزائر، منشورات الاختلاف.

8-بول ريكور، (1999)، البلاغة والشعر والهرمنيوطيقا تر: مصطفى النحال، ع16، مجلة فكر ونقد.

9-عمارة ناصر، ربيع وصيف (2013)، حدود التأويل ريكور في مواجهة إيكو، جامعة مستغانم، الجزائر، مجلة الحوار الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية،

10-بول ريكور، (2001) ، من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، مصر، عين للدراسات والحوث الاجتماعية والإنسانية.

11-بول ريكور ، (2000)، ما هو النص تر: عبد الله عازار، ع12، مجلة العرب والفكر العالمي.

12-بول ريكور، (2006) ، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى تر: سعيد الغانمي، بيروت –الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

13-بول ريكور، (2006)، الزمان والسرد الحبكة والسرد التاريخي، ج3، تر: جورج زيناتي، لبنان، دار الكتاب الجديدة.

14-محمد عزام: (1984)، التلقي والتأويل، سوريا، وزارة الثقافة السورية.

15-نور الدين السد، (2010)، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد الغربي الحديث، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع.

16-سعيد بنكراد، (2012)، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السميائيات، الجزائر، منشورات الاختلاف.

17-عبد الواسع الحميري، (2008)، في الطريق إلى النص، المغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

18-بسام قطوس، (2006)، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
19-سفيان زدادقة، (2008)، الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة، الجزائر، منشورات الاختلاف.
20-يحي رمضان، (2007)، القراءة في الخطاب الأصولي الإستراتيجية والإجراء، الأردن، عالم الكتب الحديث.
21-حميد لحميداني، (2003)، القراءة وتوليد الدلالة نحو تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، بيروت-الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
22-محمد سالم سعد الله، (2013)، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، الأردن، عالم الكتب الحديث.
23-خليفة بوجادي، (2011)، في اللسانيات التداولية، الجزائر، دار الحكمة للنشر والتوزيع.